

# اغتيال أسماء المواقع والمشهد الحضري الفلسطيني العام في القدس راسم محيي الدين خماسي\*

## مقدمة

تركز الدراسات والتقارير التي تتناول واقع القدس على الأمور المادية من مثل مصادرة الأراضي، وهدم المباني، وإعاقة ومنع التوسع العمراني العربي الفلسطيني في المدينة، بينما تقل في المقابل الدراسات التي تتناول الجوانب المعنوية والرمزية المتعلقة بالهوية الحضارية، والتي تجد تعبيراً عنها في الحيز والمشهد الحضري، وفي ثقافة المجتمع وذاكرته الجمعية ولغته، والتي منها أسماء المواقع الجغرافية والعمرانية والآثارية. والملاحظ أنَّ السلطات الإسرائيلية تعمل جاهدة، وبشكل منظم وممنهج، وبالموازاة مع عملية السيطرة الفيزيائية على المكان بعد احتلاله، على تغيير المشهد العام من خلال تغيير أسماء المواقع الجغرافية بواسطة التحكم في عملية وضع الشخصيات التي تحمل هذه الأسماء على الطرق، وتغيير الخرائط التي تحدد أسماء المواقع وتصفها. تهدف هذه الدراسة إلى رصد السياسة الإسرائيلية بتغيير وتبديل الأسماء الجغرافية بهدف تهويد المشهد الحضري العام، وذلك من خلال عملية منح أسماء يهودية وإسرائيلية للمعالم الفلسطينية في القدس، مثل الطرق ومواقع الأراضي؛ كذلك تقوم الدراسة بتحليل دوافع وآليات إجراء هذا التغيير في الأسماء، والذي يجسد سياسة معبرة عن أيديولوجية جيوسياسية، تسعى لإثبات حق امتلاك الحيز، وتحديد معالمه والانتماء إليه. ومن المعلوم أنَّ هذه السياسة غير مقتصرة على القدس، بل هي تشمل كل المواقع التي تسيطر عليها السلطات الإسرائيلية. لذلك، ستقوم الدراسة بعرض سياسة تغيير أسماء المواقع في كل فلسطين بحدودها الانتدابية، مركزة على نماذج من القدس، كمثال لما هو شأن مواقع أخرى من مدن وقرى وبيئات بلادنا. تعتمد الدراسة هذه على مراجعة أدبيات منشورة بشأن علاقة اللغة والقوة، وحالة الصراع الجيوسياسي في المجتمعات المتصارعة، ودراسة تطور رسم الخرائط وتسمية

\* مخطط مدن وجغرافي. أستاذ في جامعة حيفا ومدير مركز التخطيط والدراسات بكفر كتّا.

المواقع بها، ودراسة حالة تسمية الطرق والمواقع في مدينة القدس. وتركز الدراسة على الجوانب العملية الإجرائية التي رافقت كيفية تغيير أسماء المواقع الجغرافية في فلسطين عامة، والقدس كنموذج، ممّا أدى إلى نشوء خارطتين: واحدة عربية وأخرى عبرية، متناقضتين في تسمياتهما لنفس المواقع الجغرافية، وتعبّر كل واحدة عن واقع لغوي، إيديولوجي، ثقافي رمزي، سياسي، واتصالي مختلف في عرضه لهوية المكان.

سوف تقف الدراسة بإيجاز على أسباب نشوء هاتين الخارطتين، وستطرح بعض الاقتراحات لكيفية مواجهة تحويل وتبديل وإلغاء خارطة التسميات العربية الفلسطينية في القدس، المدينة التي تسعى الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل إلى محوها وإلغائها من المشهد العام والذاكرة العربية الفلسطينية. فعبرنة وتهويد الحيز سيؤدي إلى تناقض بين هوية، ثقافة، لغة، تاريخ وحضور السكان العرب الفلسطينيين، وبين الأسماء المفروضة عليه، والتي لها حضور فيزيائي في المشهد العام، مثل الشاحصات، الإشارات، أسماء الطرق، أسماء الأحياء والمواقع، ومسوقة يومياً بواسطة الإعلام المكتوب والمسموع والمرئي، والخرائط المختلفة المنشورة باللغات المتعددة، لأجل تذويت الأسماء المفروضة في واقع وذاكرة السائح والزائر والحاج.

## إطار عام

تشير الدراسات أن الصراع على أسماء المواقع الجغرافية يشكل أحد مركبات الصراع الرئيسية على هوية فلسطين، وما يشمله من حضور اللغة وأهلها<sup>١</sup>، فمنح أسماء للمواقع هو نتاج لغة سائدة، وأيديولوجية وثقافة حية مؤثرة. والمتابع والراصد لإنتاج الحيز والمشهد العام في فلسطين، يجد أنَّه منذ بداية القرن العشرين، وخاصة بعد الاحتلال البريطاني لها وبسط سيطرته وسيادته عليها، وضعت خارطة أسماء للمواقع مختلفة عما كان متوفراً قبل هذا الاحتلال. فمنذ الاحتلال البريطاني بدأت تسمية البلدات بشكل مزدوج، فالاسم الرسمي للبلاد أصبح فلسطين/أرض إسرائيل، وأصبح اسم القدس يروشايم بالعبرية و جبروزاليم بالانجليزية. كذلك الأمر بالنسبة لمدن مثل اللد، حيث أصبحت أسماء المدن لا توضع كما هي بالعربية، بل يتم وضع الاسم المتعارف عليه باللغة الانجليزية، ولاحقاً العبرية. أما المحطة الثانية والرئيسية في تغيير الأسماء فكانت بعد النكبة عام ١٩٤٨؛ والذي شمل احتلال القدس الغربية، ولاحقاً عام ١٩٦٧ بعد إكمال احتلال القدس الشرقية بما في ذلك الضفة الغربية، حيث سعت المؤسسة الإسرائيلية بشكل منهجي مدروس لتغيير

١ أمارة محمد، ومروعي، عبد الرحمن. **اللغة في الصراع**. دار الهدى ودار الفكر، عمان، الأردن. ٢٠٠٨.

أسماء المواقع كجزء من عملية احتلال الأرض، وإقصاء الإنسان العربي الفلسطيني من حيزه وخلق حالة غربة له عنها، تزييف التاريخ واغتيال الموروث من خلال فرض رواية انتقائية لتاريخ الموقع وبتناول جزئية من تراثه الإنساني. مقابل ذلك حدث تطور في البلاد أنتج مسميات جديدة، أو وثق وسجل ما كان معروف حسب الرواية المحلية والتاريخ الشفوي. هكذا فإن إنتاج الحيز والمشهد العام، بما في ذلك توثيق أسماء المواقع رسمياً كان متأثراً بشكل ملحوظ بقوى وعوامل خارجية تسعى إلى خلق واقع جديد مفروض. لقد تركّز دور العرب الفلسطينيين أهل البلاد على المواجهة، ومحاولة استدراك الأمور والتأثير على الأحداث، ورصد ما يعمله المستعمر أو المهاجر. وشملت أعمال الفلسطينيين وضع المسميات العربية لمواجهة العبرية، وهذا الجهد ما زال مستمراً، على الرغم من حالة الوهن والمعوقات الكثيرة. في البداية يجب التأكيد على أنه قبل عملية تسجيل وتوثيق وتغيير أسماء المواقع الجغرافية حسب منهجية عصرية مستقاة من التجربة الأوروبية، وعلى وجه الخصوص البريطانية من خلال الانتداب البريطاني، كانت لمعظم المواقع في البلاد أسماء متعارف عليها ومعمول بها وموثقة في السجلات العثمانية، مثل سجلات المحاكم والطابو والأوقاف، وأيضاً في كتب الجغرافيا والتاريخ والتراث، إضافة إلى المعرفة العامة والشعبية لمسميات المواقع. هذه المسميات نشأت وتطورت وتحولت، في بعض الأحيان، خلال التاريخ الطويل لبلادنا متأثرة من الغزاة، الحضارات واللغات التي توطنت بها وسيطرت عليها.

## تحولات في الأسماء وكثافة عالية في المسميات

إن تاريخ القدس الطويل ومكانتها المميزة في قلب فلسطين منحت لها أسماء متعددة مثل: ييوس، أورو-سالم، إيلياء، بيت المقدس، القدس، وحاليا أطلق عليها الإسرائيليون يروورشاليم.<sup>٢</sup> وحسب ما جاء في وثيقة القدس الصادرة عن لجنة القدس التابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي<sup>٣</sup>، فقد «عُرفت القدس أول ما عرفت باسم «سالم» الجد المؤسس أو الإله الأعلى. وقد كونت «مملكة مدينة» كغيرها من المدن الكنعانية وعرف من أسماء ملوكها «قدوم سالم» و«ملكي صادق» و«أدوني صادق» و«أدوني بازق». وأول ذكر لها ورد في نصوص الطهارة المصرية في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد، بصورة «يوروشاليم» ومعناه على الأرجح

٢ العارف. عارف. المفضل في تاريخ القدس. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ٢٠٠٧.

٣ منظمة المؤتمر الإسلامي. لجنة القدس. وثيقة القدس. ٢٠٠١، ص. ٢٩.

«مدينة سالم». وتستمر الوثيقة قولها بهذا الشأن: «ورد ذكر القدس في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر ق. م. باسم «يوروسالم»، وفي النقوش الآشورية باسم «اوروسليم». وأقدم اسم لها في العهد القديم هو «شاليم» وقد ورد في سفر التكوين بمناسبة قدوم أبرام إلى أرض الكنعانيين، إذ خرج الملوك لاستقباله ومنهم ملكي صادق ملك شاليم. كما ورد ذكرها في سفر يشوع باسم «أورشليم». وكان ملكها آنذاك هو أدوني صادق. وورد أيضاً في سفر القضاة حين ذكرت حرب بنو إسرائيل مع الكنعانيين. وجاء ذكرها في سفر القضاة مرة أخرى باسم «يبوس» نسبة إلى اليبوسيين العرب الذين كانوا يعيشون فيها. وورد في العهد القديم أيضاً اسم «صهيون» الذي دل بداية على جزء من المدينة اليبوسية كان يقوم فيه الحصن الذي استولى عليه داود حين انتزع المدينة من اليبوسيين. ولم يلبث أن سمي ذلك الجزء باسم «مدينة داود»، وأصبح يطلق على المدينة ككل مع مضي الزمن.

وسميت المدينة أيضاً «أريئيل» في سفر أشعيا. وعرف التل الصخري الذي بنى عليه سليمان الهيكل باسم «موريا»، وجاء ذكره في أخبار الأيام الثاني. ومع تعدد الأسماء فإن اسم أورشليم هو الذي كان شائعاً منذ فتح داود المدينة إلى منتصف القرن الثاني للميلاد، حيث أطلق عليها الإمبراطور الروماني إيلياؤس هادريانوس اسمه الأول بعد أن أعاد بناءها فعرفت بإيلياء. وهو الذي هدم مدينة أورشليم عام ١٣٥ م، بعد أن هدمها تيتوس قبل ذلك عام ٧٠ م. وقد ظل اسم إيلياء سائداً نحو قرنين إلى أن جاء الإمبراطور قسطنطين فأعاد إليها اسم أورشليم. وبقي اسم إيلياء مستعملاً حتى كان الفتح العربي الإسلامي. اشتهرت المدينة بعد الفتح باسم «بيت المقدس». وورد لهذا الاسم صور مختلفة منها البيت المقدس، وبيت المقدس والقدس الشريف والمدينة المقدسة. ولقبت المدينة بألقاب منها دار السلام ومدينة السلام وقرية السلام. وواضح أن تعدد أسماء القدس مرتبط بتاريخها الطويل الحافل، وبأهميتها المتميزة. ولقد كانت كل هذه الأسماء -عدا اسم «إيلياء» - أسماء كنعانية عربية تحمل مدلولاً واحداً في معظمها. فما «أورسالم» إلا «أورشليم» إلا «القدس». وحتى اسم «إيلياء» الروماني جرى تعريبه حين تداوله شعب فلسطين والمنطقة مثلما عربوا اسم «نابلس» وغيره. وقد اقترنت هذه الأسماء في أذهان الناس بمعنى قدسية المدينة وكونها بيتاً مقدساً.<sup>٤</sup>

رغم خصوصية القدس، إلا أن الراصد لأسماء المواقع في فلسطين، من مدن، بلدات، قرى، مضارب، خرب، وديان، سهول، جبال، كهوف، خانات، وعيون، يجد أن بلادنا تتمتع بكثافة عالية في أسماء المواقع، وبها غنى ربما لا يوجد له مثيل في منطقة مشابهة في العالم. على أنني لم أعثر حتى الآن على مسح شامل موثق لعدد المسميات الجغرافية في البلاد. وهناك اجتهادات مختلفة لتقدير عدد أسماء المواقع

٤ منظمة المؤتمر الإسلامي. لجنة القدس. وثيقة القدس. ٢٠٠١، ص. ٢٩.

الجغرافية في حدود فلسطين الانتدابية، فالدكتور كمال عبد الفتاح يقدّر مقال له منشور عام ١٩٨٢ بأن عدد المسميات في فلسطين، التي كان بها قبل عام ١٩٤٨ أكثر من ٨٢٦ قرية عربية، هو على الأقل ٣٠-٤٠ ألف مسمى جغرافي، واعتبر وقتها هذا الرقم «متحفظ جداً». ويعتقد عبد الفتاح حالياً، وبعد سنوات طويلة من البحث والمتابعة، أن الرقم يتجاوز ٦٠ ألف مسمى<sup>٥</sup>، ويشير الدكتور سلمان أبو ستة في أطلسه الذي صدر مؤخراً إلى حوالي ٣٢ ألف موقع جغرافي مشار إليه بمسمى عربي في فلسطين. أما الدكتور شكري عراف فقد أشار إلى أن «سلطة تسمية الأماكن الإسرائيلية» أقرت عبرة اسم حوالي ٧٠٠٠ موقع فلسطيني، وقد أشار إليها في كتابه: المواقع الجغرافية في فلسطين بين الأسماء العربية والتسميات العبرية، المنشور عام ٢٠٠٤، بينما أشار الموقع الإلكتروني لـ «سلطة تسمية الأماكن الإسرائيلية» إلى أن هذه السلطة نجحت حتى منتصف عام ٢٠١٢ في وضع مسمّى عبرياً لحوالي ٩ آلاف موقع جغرافي في البلاد، معظمها، إن لم يكن كلها، كان لها اسم عربي أو ذو أصول لغوية أخرى وكتب بالعربية قبل عبرنته.

لا شك بأن عدد المسميات الجغرافية العربية في فلسطين هو أكثر من التقديرات المنشورة وما أشير إليه سابقاً، وأدعي هنا بأنها تتجاوز مئة ألف موقع، لكن لم توثّق كلها رسمياً وكتابةً. يعود التباين في تقدير عدد أسماء المواقع الجغرافية العربية إلى عدة أسباب:

(١) مستوى الدخول في تفاصيل/أو تحديد مقياس رسم الخارطة (Map Scale). هناك من يشير إلى الأسماء المحددة حسب خارطة مقياس رسم كبير، مما يخفي أو يلغي أسماء مواقع محلية، بينما كلما دخلنا في التفاصيل وجدنا أسماء ومسميات مواقع جغرافية أكثر كأسماء العيون، الينابيع، المقامات، الجبال، الوديان، مواقع الأراضي الزراعية، الطرق... الخ. وفي هذا السياق أعرض نموذج بلدي كفر كنا التي تبلغ مساحة أراضيها حوالي ١٩٤٥٠ دونم. لقد فحصت أسماء المواقع الجغرافية فوجدت بها ١٦٢ موقع له مسمى جغرافي معروف في الرواية والتاريخ الشفوي المحلي، إضافة إلى أن جزء منها مسجل على الخرائط المحلية<sup>٦</sup>. وإذا افترضنا أن نموذج كفر كنا يمكن أن نسوقه على حالة القدس، أي أن لكل مساحة ٢٠ ألف دونم يوجد حوالي ٦٢ اسم، فإن

٥ عبد الفتاح. كمال. السمات العربية للمواقع الفلسطينية الموهدة. كتاب المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام "فلسطين". جغرافية فلسطين وحضارتها. المجلد الثاني. الجامعة الأردنية. عمان. وجامعة اليرموك. إربد. ١٩٨٢. ص: ٣٧٧-٣٩٢.

٦ محادثة هاتفية معه بتاريخ ٢٣-٨-٢٠١٢.

٧ للتفصيل أنظر: عواودة. عامر. ٢٠٠٨. كفر كنا تاريخ وراث. دار الحكمة. كفر كنا. ١٤-٤١.

عدد أسماء المواقع في القدس حسب حدودها الحالية يزيد عن ألف اسم، وهذا لا يشمل أسماء الطرق والأحياء العصرية.

(٢) العمق التاريخي لفلسطين وقلبها القدس، حيث أن المتتبع للتطورات التاريخية لفلسطين، والمتأثرة بالموقع الجغرافي المركزي لها بين قارات العالم القديم وبين مركزين حضاريين، حضارة النيل (مصر) وحضارة ما بين النهرين (العراق)، يجد أن بلادنا هي أرض مستقر وممر وهي: قديمة متقدمة متصلة ومتواصلة، مرت بها حضارات وحضرت بها لغات أقوام متعددة؛ كونت طبقات من الموروث الحضاري. تمثل كل طبقة فترة تاريخية أو حضارة لها لغة وأطلقت أسماء على الموقع من لغتها، أو أنها قبلت ما سبق، أو أنها ترجمته أو حرفته. وهكذا فإن هذه الأقوام وضعت أسماء ومسميات لمواقع أضيفت إلى القاموس اللغوي الجغرافي في مواقع البلاد المتعددة، ونتيجة لهذا التاريخ الطويل وللتعدد الحضاري الذي حكم البلاد، نجد أن لبعض نفس المواقع عدة أسماء ومسميات. وبعض هذه الأسماء تقع على نفس الموقع الذي يمكن تحديده اليوم حسب نظام إحداثيات الطول والعرض بدقة، أو أنها أسماء لمواقع متجاورة، أطلق عليها أسماء متعددة، وبذلك يكون خلط واختلاط بين الأسماء، وربما يكون خطأ في دقة تحديد الموقع واسمه حسب الفترة الزمنية المحددة. على سبيل المثال، فإن موقع حائط البراق كما يطلق عليه المسلمون، يطلق عليه اليهود اسم حائط المبكى «هكوتيل»، وحسب الكتابات الغربية يطلق عليه الحائط الغربي (Western Wall).

(٣) الاستيطان والتوطن البشري المتواصل أدى إلى إنشاء أو اكتشاف، أو إضافة وتطوير، مواقع جغرافية أطلق عليها أسماء ومسميات جديدة بلغات ولهجات مختلفة، وتعد الأسماء لمدينة القدس بشكل عام والمواقع المختلفة داخلها هي خير دليل على ذلك.

(٤) التنوع الجغرافي لفلسطين، فرغم ساحتها الصغيرة نسبياً، حوالي ٢٦.٣٣٠ كم<sup>٢</sup> يابسة، إلا أن تنوع تضاريسها ومناخها، وتشكيل جيولوجيتها وديمورفولوجيتها لمواقع جغرافية كثيرة، أظهر حاجة ماسة لإطلاق اسم على كل موقع لتمييزه عن محيطه. وتظهر الدراسات أن مناطق شمال فلسطين التي كان وما يزال يوجد بها كثافة استيطانية عالية، ومناخها جيد ومنطقة القدس، يوجد بها أسماء كثيرة بالمقارنة مع منطقة النقب التي تشمل عدداً أقل من الأسماء.

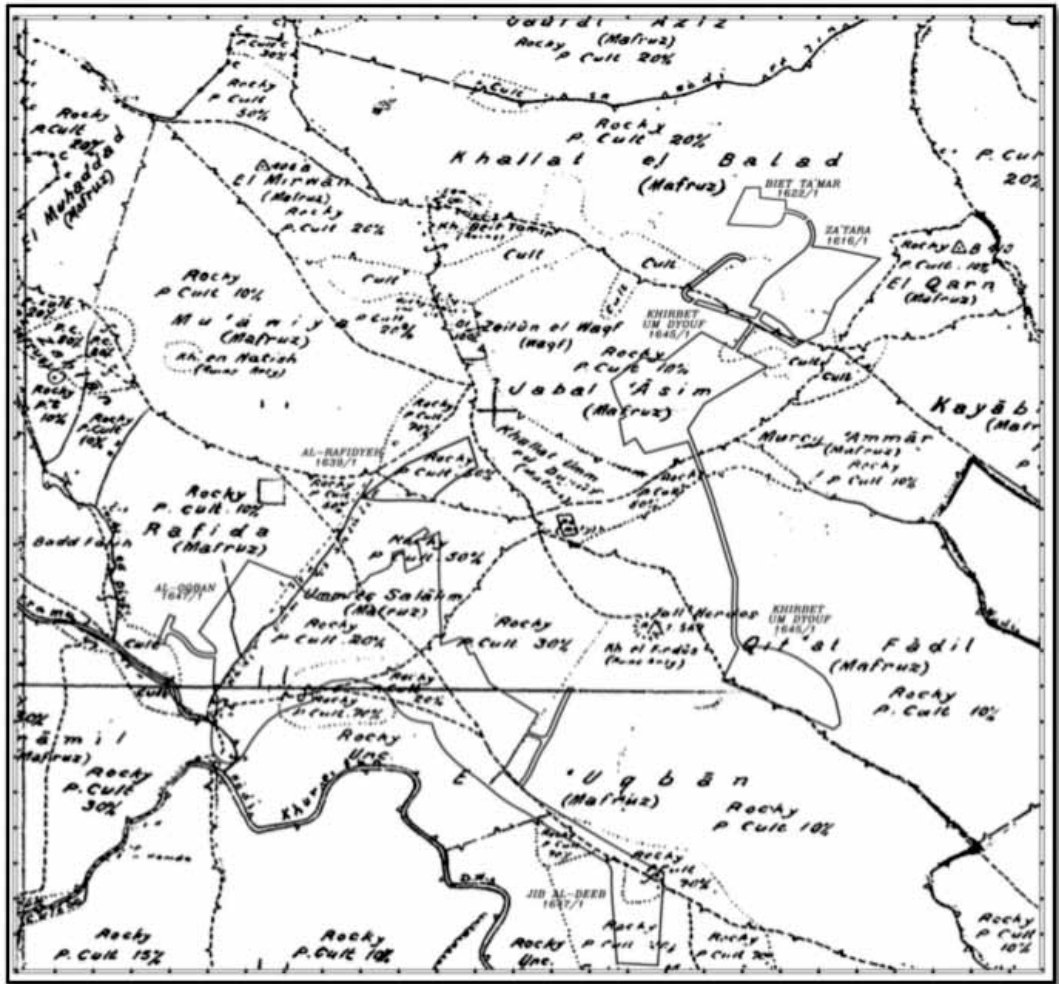
العوامل المذكورة أعلاه نجدها مطبقة عملياً في القدس التي تشكل نموذج مصغر لفلسطين عامة وعينة ممثلة لها. موقع القدس المتميز جغرافياً في مركز السلسلة الجبلية الفلسطينية، وعلى محور خط توزيع المياه الفوقي والجوفي، وموزعة بين مناخ شرق أوسطي معتدل وبين



شكل رقم ١: شاخصة توجيه لمواقع في محيط المدينة تشير إلى الحي اليهودي والحائط الغربي بدل حائط البراق

- مواقع جديدة أو استخدام وتطوير ما سبق من مواقع وتوسيعها، مما أدى إلى زيادة عدد الأسماء والمسميات الجغرافية.
- ٣- التباين بين المجتمع الأصلي والمجتمع المهاجر وتأثيره على تحديد أسماء المواقع. نشأ المجتمع الأصلي وتطور في حيزه بشكل طبيعي وعضوي. خلال عملية تطوره الطويلة خلق تجانس وتكامل بين الحيز واللغة والإنسان والثقافة. لذلك نجد أن المجتمع الأصلي يضع اسم ومسمى لكل موقع أو وحدة جغرافية مشتقة من لغته وثقافته وتراثه وفلكلوره. هذا الارتباط والتواصل بين الإنسان ومحيطه وبيئته الطبيعية والمبنية زاد عدد الأسماء المعروفة، رغم أنها ربما لم تسجل على خارطة. بالمقابل فإن المجتمع المهاجر القادم للبيئة والغريب عنها، ليس لديه عمق التواصل والانتماء والانسجام مع الحيز، مما يقلص عدد الأسماء التي يحويها قاموسه الجغرافي والذي يصف البيئة التي دخل إليها. هكذا فليس سراً أن الحركة الصهيونية المهاجرة تحاول أن تعوض فجوة تواصلها مع البيئة الجغرافية، بواسطة ادعاء أنها مجتمع أصلائي عاد إلى البلاد بعد غياب وغربة ٢٠٠٠ عام؛ والآن عاد يستخدم الأسماء التي كانت قبل ٢٠٠٠ عام، مثل أورسليم، محاولاً إثبات ارتباطه بالبلاد. مع ذلك فإن عدد الأسماء التي استطاع عبرتها، ومعظمها من أصل عربي لم تتجاوز ٩٠٠٠ اسم. إن الغربة عن الحيز والبيئة تؤدي إلى تقلص عدد الأسماء المسجلة باللغة الجديدة؛ بينما التواصل والانتماء للحيز وللبيئة يزيد من عدد الأسماء وهذا ربما يفسر لنا الفروق الكبيرة بين عدد الأسماء العربية للمواقع الجغرافية مقابل العبرية.
- ٤- الرسالة الجيوسياسية والأيدولوجية من وراء خارطة الأسماء: يجب أن نشير إلى أن وجود الاسم للموقع هو تعبير اجتماعي، ذو بعد رمزي، له رسالة جيو سياسية

- مناخ شبة صحراوي. هذا الموقع المميز يلحظه ويشعر به كل من يقف على جبل المشارف (جبل الزيتون)، والذي أطلق عليه الإسرائيليون اسم «هار هتسوفيم»، بجانب مستشفى المطلع، حيث ينظر غرباً فيشاهد طبيعة مناخية معتدلة، وعائلات نباتية نمت في ظل هذا المناخ، بينما إذا نظر شرقاً فسيشاهد طبيعة مناخية شبة صحراوية تختلف كثافة التربة ونوعها، ويختلف أيضاً البناء والنبات، كما تختلف كذلك كثافة أسماء المواقع. حيث أنه كلما زادت كثافة التوطن والاستخدام البشري للموقع ارتفع عدد الأسماء لأجل تحديد وصف دقيق للموقع والمناطق التي يشملها يمكن أن نعزو الاختلاف والتباين في تحديد عدد أسماء ومسميات المواقع الجغرافية في بلادنا إلى عدة عوامل يمكن إيجازها بالنقاط التالية:
- ١- اختلاف في تحديد المعايير للمسمى الجغرافي، حيث هناك من يدخل بالتفاصيل ويجد أن لكل موقع يوجد اسم متعارف عليه أو معروف ومسجل، وآخر يحاول الإشارة إلى العموميات. فمثلاً الخارطة التي وضعها الانتداب البريطاني لفلسطين أرض إسرائيل سجلت حوالي ٣٧٠٠ اسم لموقع جغرافي من أصل عربي، وفقط أشارت الخارطة إلى ١٧٤ اسم عبري<sup>١</sup>. بينما عندما وضعوا خرائط أحواض تخمين بمقياس رسم ١:١٠٠٠٠ تم تسجيل اسم كل موقع في الحيز الذي تم مسحه وتسجيله (أنظر الخارطة رقم ١) مما زاد عدد الأسماء في البلاد. وكل من يراجع خرائط القدس التي أعدت بشكل منظم ومتواصل من قبل جهات مختلفة يجد التباين في عدد الأسماء المشار إليها في كل خارطة، وذلك متعلق بمقياس رسم الخارطة، وبهدفها والجهة التي تقف وراء إعدادها والرسالة التي تحملها الخارطة. هكذا فإننا نجد حرب بين الخرائط لأن الخارطة تمثل رسماً للمواقع، وكل فئة تسعى لترى الواقع وتعرضه من خلال الخرائط بشكل مختلف. وفي كثير من الحالات هناك نسخ خرائط دون إدراك كاف لمصدر الخارطة والرسالة التي تعبر عنها ومجمال الأسماء المذكورة بها.
- ٢- كثافة الاستيطان في البلاد: رغم المساحة الصغيرة نسبياً لبلادنا فإن التنوع الجغرافي والمناخي خلق تنوعاً في كثافة الاستيطان البشري (عدد القرى والمدن، والمضارب). كذلك في مساحة المواقع المستخدمة، والتي كانت محطات ومسارات رابطة بين حضارات نشأت وتطورت في الفضاء الجيوسياسي، الثقافي والاجتماعي التي كانت فلسطين جزءاً من هذا الفضاء، قبل تشكيل حدود الدولة القطرية. فالرصد لعدد الأسماء يجد أن سلسلة الجبال الفلسطينية، بما فيها جبال القدس، ونابلس، والجليل، يوجد بها أسماء مواقع جغرافية أكثر من منطقة السهل أو منطقة الغور أو منطقة النقب الجنوبي. هكذا فإن كثافة الاستيطان كانت نتيجة بناء



خارطة رقم ١: نموذج مسح الأحواض الطبيعية لغرض التخمين ويظهر عليه اسم الموقع ونسبة استخدام الأرض لأغراض الزراعة (المنطقة المحيطة بتل هودس).

وضع بيدها القدرة لممارسة رغبتها وسياستها وتحقيق روايتها من خلال رسم خارطة أسماء مستحدثة، مع أسماء مواقع حديثة الإنشاء، وترجمتها إلى شاخصات وإشارات موجهة على الطرق تشير إلى المواقع بشكل انتقائي. وهكذا فإن الاختلاف والتباين في عدد أسماء المواقع هو تعبير عن محاولة إلغاء أو تجاهل أسماء ومسميات موجودة لأهداف سياسية ومحاولة لطمس معالم ومشاهد موجودة في الحيز، ولكن يرغب المسيطر والمهيمن عدم ذكرها لتغليب روايته في تكوين الخارطة الذهنية والمعرفية، ولاحقاً الخارطة الفيزيائية للحيز. في هذا السياق يمكن أن نؤكد أن تهويد الحيز يشمل تغيير طابعه ومعالمه والمشهد العام بما في ذلك شاخصات إرشادية على الطرق تتجاهل وتغيب الوجود العربي (أنظر شكل رقم ٢ أدناه).

٥- لقد رسمت خرائط توثيقية وصفية لفلسطين خلال

وأيدولوجية. لذلك فإن الخارطة ليست أداة محايدة، بل هي وسيلة توثيق وتعبير ذات دلالات ورسائل جيوسياسية وأيدولوجية، بالإضافة إلى الرسالة المعرفية والتوثيقية للأسماء الجغرافية المبينة بها. فالراصد لمضامين الخرائط التي رسمتها المؤسسات الإسرائيلية الرسمية يلحظ أنها تتجاهل أو تحاول إلغاء أسماء كثيرة، في محاولة للتعبير عن أن هذه المواقع غير موجودة. وليس صدفة أن مقولة الصهاينة المهاجرين أنهم «جاءوا لأرض بلا شعب لشعب بلا أرض»، وأنهم جاءوا ليعمروها، وادعائهم هذا تناقضه حقيقة وجود أسماء جغرافية لمدن، وقرى، ومضارب بدو، وعيون، وخانات، وسهول، فهي خير دليل على وجود مجتمع حي على الأرض، استخدمها بشكل متواصل. ولكن إنتاج الخرائط العصرية بواسطة الانتداب البريطاني ولاحقاً بواسطة الحركة الصهيونية، ودولة إسرائيل



تاريخها الطويل؛ حتى نهاية القرن التاسع عشر شملت الخرائط التي أعدت لفلسطين، عدداً ليس كبيراً من أسماء المواقع الجغرافية. مرد ذلك إلى أمور تقنية، وربما إلى وعي محدود لأهمية التوثيق، وعدم الخوف على حاضر ومستقبل البلاد من غزو أجنبي. بينما، ومع الاحتلال البريطاني للبلاد صُدِّرَ إليها بعد فرض الانتداب تقنيات وأدوات إعداد خرائط، مسح أراضي وتسجيلها حسب مسمياتها الموجودة في الروايات والتاريخ الشعبي السائد. هذه الخرائط لم تشمل كل الأسماء المعروفة والمتعارف عليها في المجتمع. وبعد أن سيطرت الحركة الصهيونية على عملية إنتاج الخرائط بعد إقامة دولة إسرائيل وثقت الأسماء على خرائط بشكل مغاير ومخالف عن الواقع المتعارف عليه ووضعت أسماء مواقع عبرية بدل الأسماء العربية، وبدأ ذلك باسم يروشاليم بدل القدس، واسم «هار هابيت» بدل الحرم الشريف، و«هار حوما» بدل جبل أبو غنيم. لقد مارست إسرائيل التلاعب في رسم الخرائط وتسجيل أسماء المواقع الجغرافية، لأجل توثيق الرواية والذاكرة الجماعية والفردية للمجتمع اليهودي المهاجر، وبشكل مختلف عما هو معمول به لدى المجتمع الأصلي الذي عاش ويعيش في الحيز المكاني الفلسطيني.

## نشأة الأسماء والمسميات

نشأت وتطورت أسماء ومسميات المواقع العربية في القدس على امتداد تاريخها حتى عام ١٩٤٨ في الجزء الغربي، وحتى ١٩٦٧ في الجزء الشرقي، بشكل عضوي من اللغة العربية على الغالب، أو تمت ترجمة الاسم من لغات كانت فاعلة في صياغة الحيز في البلاد مثل الكنعانية، والآرامية، واليونانية، والرومانية. وفي بعض الأحيان تم تحريف الاسم أو نقله إلى العربية، وتحول حسب لهجات محلية، فظهر وكأنه اسم جديد أطلق على الموقع. من الجدير بالذكر في هذا السياق أنه رغم سيطرة اللغة العربية على البلاد عامة، وعلى القدس خاصة، ما يزيد عن ثلاثة عشر قرناً فإنها احترمت أسماء ومسميات المواقع السابقة، على الغالب مع بعض التعديلات التي اقتضتها اللهجات، دون أن تكون هناك حالة إنكار لما سبقها من مسميات للمواقع، بل على الغالب كان توافق وتكامل مع الاسم القائم أو السابق، وهذا على عكس ما يحدث الآن في عملية عبرنة الأسماء، وخلق أسماء بديلة تنكر ما سبق، وتسعى للقفز عن حقب تاريخية شكلت جزءاً من الواقع الجغرافي والحضاري والتراثي للقدس ومحيطها بشكل خاص، وللبلاد بشكل عام، من أجل إثبات حق تاريخي ونقل أسماء من الماضي إلى الحاضر.

هكذا يمكن أن نقول أن أسماء المواقع نشأت وتكونت المسميات وأطلقت منذ الفتح العربي الإسلامي للبلاد على



شكل رقم ٢: صور توضح شاخصات عل الطرق تشير إلى المواقع على أنها يهودية وقد كتبت أيضاً بأحرف عربية.

المواقع الجغرافية بموجب التراث والفولكلور واللغة السائدة، وهي العربية ومشتقاتها. هذه الأسماء متأثرة من العوامل التالية:

- ١- حالة وصفات الموقع الجغرافية.
- ٢- المكانة التاريخية.
- ٣- ارتباطه بحدث تاريخي.
- ٤- ارتباطه بحالة/صفة.
- ٥- منح رمزية للمكان.
- ٦- اسم أطلق من لغة وحضارة كانت مسيطرة على البلاد.
- ٧- ترجمة من لغة سابقة، أو تحريف لهجة.

يُظهر رصد أسماء المواقع التي نشأت وتطورت بشكل عضوي أن مصدرها يعود إلى العوامل المذكورة. وإن التداخل بين هذه العوامل المسببة لإنتاج اسم الموقع الذي أطلق عليه مرده إلى العمق التاريخي والتنوع الحضاري الذي سيطر على منطقة القدس.

## توثيق الأسماء: الانتقال من وصف اسم الموقع إلى منح رقم واسم له

كانت المسميات الجغرافية معروفة ومتناقلة شفويا لمواطني البلاد، باستثناء بعض السجلات التي سجلت أسماء البلدان وبعض المعالم والمشاهد الجغرافية، فإن مسميات المواقع لم تسجل في سجل موثق بل تحدد وصفيًا دون منح حدود دقيقة. وخير دليل على ذلك هو تسجيل الأرض وإصدار كواشين طابو، والذي بدأ بعد إقرار قانون الأراضي ١٨٥٨ م وقانون الطابو ١٨٦١ م العثماني. حسب هذه الكواشين حددت حدود الأرض حسب اسمها المتعارف عليه محليا، وحسب اسم الأرض، وحسب اسم الأرض المجاورة وصفاتها أو المعالم الموجودة ضمنها. فالفاحص لوثيقة تسجيل الأرض العثماني، الكوشان، يجد أنه يحدد الأرض بواسطة اسمها ويوصف حالة الأرض المجاورة لها من الجهات الأربع. كنموذج لذلك لدينا دعوى قضائية قام بها السيد سلمان درويش حجازي ضد لجنة طائفة السفرديت وآخرين لاستعادة أرض صودرت، أو بادعاء شرائها<sup>٩</sup>، فقد ادعت الحكومة الإسرائيلية بأن الموقع الذي يعرف «بكرم الجاعوني» حسب الكوشان العثماني، والمعروف «بأرض اليهودية»، وحدوده: من الجنوب أبناء عقي، من الشرق المالك جورة العميا، من الشمال وعر شليق والمالك وشركاه، ومن الغرب جورة الجباري. هذا نموذج لتحديد حدود موقع أرض أصبح يطلق عليها شمعون الصديق، وتشمل مغارتين يدعي اليهود بأنهما قبر لصديق يهودي. قامت الحكومة الإسرائيلية بالسيطرة على

٩ ملف رقم ٩٧١١٤١٥ المحكمة المركزية- القدس.

الموقع بالقوة وباستخدام القوانين المسنّة من قبل البرلمان الاسرائيلي. خلال عملية المرافعة أمام المحاكم الإسرائيلية تبين خلاف بشأن تحديد الموقع الذي يقع في منطقة الجراحية، والذي يحدد حسب الكوشان العثماني وصكوك شراء لأراضي تم وصفها بحدود من الصعب تحديدها مع مضي الوقت. رغم أن أصحاب الأرض أثبتوا موقع الأرض من خلال خبراء (كان كاتب هذا المقال أحدهم)، إلا أن المحاكم الإسرائيلية رفضت الإثبات، وأخذت بادعاءات واهية لأجل مصادرة الموقع. مما يؤكد أن عملية وصف موقع الأرض لا يكفي، بل يجب أن يكون معتمد على أنظمة جديدة.

وبعد أن دخل الانتداب البريطاني قام بتشكيل دائرة المساحة والبدء بعملية مسح الأراضي حسب نظام روبرت تورنرز (Robert Torrens)، الذي اعتمد منهجية منح رقم لكل قطعة أرض لتحديد هويتها وموقعها، بعد أن أعد مسح وتسجيل أحواض طبيعية لتخمين الأراضي، لأجل جبي الضرائب من أصحابها ومستخدميها. تشكل خرائط أحواض التخمين هذه أساساً لتحديد أسماء ومسميات المواقع حسب ما كانت تعرف، وما كان يطلق عليها من قبل المجتمع المحلي. فيتم بعد عملية المسح والتسوية للأراضي منح رقم حوض ورقم قطعة للأرض، وبهذا فقد تم انتقال تعريف الموقع من وصف الاسم إلى تحديد ورسم الحدود حسب مساحه حقيقية ومنح رقم لقطعة الأرض كجزء من منظومة جاء مع تطبيق عملية التسوية حيث قسمت البلاد إداريا لألوية، وحددت حدود أراضي القرية وقسمت إلى أحواض، وقطعت إلى قطع أراضي ومنحت كل قطعة رقم، حدد هويتها وأصبحت تعرف بموجبة بدل الاسم والتعريف الوصفي.

نجد عملية منح رقم لموقع قطع الأرض بدل اسمها في تعريف المواقع وتحديد العناوين في المدن، بالإضافة إلى تحديد مساحة الأرض. فلم تمر حتى اليوم معظم الأراضي في القدس الشرقية بعملية تسوية، بل ما زالت الأراضي تحدد حسب وصف بموجب كوشان عثماني أو حسب إخراج قيد أردني. يخلق هذا الواقع إشكاليات ومشاكل في تحديد موقع الأرض، وأصحابها الذين يملكونها مما يسهل تسريب الأراضي ومصادرتها.

إن الانتقال من وصف اسم الموقع أو الحي إلى منح رقم له جاء نتيجة عدة أسباب منها:

- (١) سهولة الاستخدام والتعريف.
- (٢) خلق تسلسل رقمي.
- (٣) تأمين الحيادية وتجاوز الخلافات في الرواية.
- (٤) تحديد الموقع بموجب مساحة دقيقة وليس وصف كلامي.

هذا التحول الذي جاء أساس لتحويل خرائط تعريف الأراضي ولاحقا انتقل إلى المدن والقرى وما زال معمول به في بعض المدن. فبدل منح أسماء للطرق والحارات تمنح لها أرقام.

حيث أن لكل شخص وموقع نجد له رقم يعرف موقعه في الحيز بالإضافة إلى تعريف هويته.

كذلك فإن انتقال اسم الموقع من الاسم المتعارف والمتداول إلى الرقم المسجل، أضيف إليه مركب إضافي محدد حسب الأرقام وهو إحداثيات الطول والعرض. حيث أن إدخال عنصر الإحداثيات الجغرافية إلى استخدام تحديد الموقع زاد من منح أرقام تعريفية دقيقة لموقع الأرض بدل الوصف. مع إدخال نظام التسوية للأراضي واستخدام الإحداثيات الجغرافية، أصبح لكل نقطة في المحيط رقم ذو ثلاثة أبعاد يحدده ما يعرف اليوم (GPS Positioning System)، وقد قلص هذا من الحاجة إلى تحديد وصف الاسم الدقيق وأصبح هناك اكتفاءً بتحديد الموقع حسب نقاط الإحداثيات. مع أن هذه التقنيات أصبحت مستخدمة بكثرة إلا أنها لم تلغ تحديد اسم للموقع، كمعرف له ومعبرٍ عن لغة وهوية الأهل الذين يعيشون به.

## عملية التمدن وأثرها على تنوع في خارطة الأسماء

منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت عملية تطور وتوسع عمراني في القدس خارج أسوار البلدة القديمة. بالموازاة مع ذلك توسعت أنوية القرى المحيطة بالقدس مثل سلوان، شغاف، بيت حنينا، لفتا، والمالحة. رافق عملية التوسع العمراني والتمدن نشوء أحياء جديدة في محيط القدس، وامتدت أجزاء من هذه الأحياء باتجاه الغرب كالتالبية والقطمون، وأخرى باتجاه الشمال على امتداد طريق القدس نابلس. كان هذا التوسع الحضري بحاجة إلى تحديد المواقع والعناوين به من خلال منح أسماء ومسميات للحارات وللطرق أسوة بالمدن العصرية. رغم أن الجزء القديم، القصبه أو البلدة القديمة، حافظت على نمط تعريف وصفى للموقع حسب المسميات التقليدية. ولكن إقامة وتشكيل بلديات عصرية لإدارة هذه المدن، والحاجة إلى توفير خدمات للسكان، قد تطلب تحديد أسماء للطرق، ومنح عنوان محدد لكل أسرة تعيش به. هذا التحول كان متأثراً من النماذج الإدارية وعمليات رسم خرائط تحدد عناوين السكان التي نشأت وطبقت في المدن الأوروبية، وقد نقل جزء منهذه العمليات بواسطة حكومة الانتداب البريطاني، والتي شكلت داخل البلديات لجاناً لتسمية الطرق.

يعرض لنا في هذا السياق الدكتور جوني منصور في كتابه شوارع حيفا العربية كيفية وضع أسماء للشوارع في مدينة حيفا خلال فترة الانتداب البريطاني، والإشكاليات التي رافقتها، وبالأخص الخلاف بين العرب واليهود على هوية المدينة وأسماء مواقعها وشوارعها. ويتطرق في عرضه

للخلاف بشأن تشكيل لجنة تسمية أسماء الطرق عام ١٩٣٢. في المقابل شهدت مدينة القدس إقامة أحياء يهودية منفصلة على الغالب عن الأحياء عربية. وفي بالبداية منحت الطرق الرئيسة أسماء المدن التي تصل إليها مثل: طريق يافا، طريق نابلس، طريق الخليل، وأسماء الطرق الرئيسة ما زالت قائمة حتى اليوم. ولكن داخل الأحياء تم تسمية الطرق حسب الانتماءات العرقية والثقافية لكل مجتمع. ومع زيادة عملية الصراع على طابع المدينة الذي رافق زيادة عدد السكان اليهود والعرب بها، بدأت تظهر معالم نشوء خارطة عربية وأخرى يهودية/عبرية. هذه الخرائط كانت على الغالب محدودة بحدود انتشار السكان في محيط المدينة. بالنسبة للقرى المحيطة بالقدس والتي أصبحت جزءاً منها لاحقاً بشكل قسري، وذلك بعد تهجير سكانها خلال حرب ١٩٤٨، أو ضمها بعد عام ١٩٦٧، فإنها بقيت محافظة على طابعها العربي الفلسطيني؛ حتى تمت السيطرة الإسرائيلية عليها وفرض خارطة عبرية عليها، متأثرة من الدوافع الأيديولوجية والسياسية الصهيونية.

## عبرنة الخارطة

إن وعي الحركة الصهيونية لأهمية تحويل وتبديل المسميات الجغرافية كان حاضراً مع انطلاقة المشروع الصهيوني لأجل إنجازها في فلسطين وعلى رأسها القدس. هذا المشروع كان مكوناً من إحياء اللغة العبرية، لتشكيل الهوية الجماعية بموجب أيديولوجية صهيونية، وتحقيقها في مكان جغرافي تشكله حسب روايتها وخطاها. لذلك بدأت بإنجاز إنتاج أسماء ومسميات للمواقع بدأت مع اسم البلاد، وأسماء الأقاليم، والألوية، والمدن، والمواقع الجغرافية المختلفة. وبدأت بإنتاج خرائط توثق إنتاجها للمسميات التي تضعها. وصاغت عملية ممنهجة ومنظمة كانت بدايتها عام ١٩٢٢ عندما أقيمت لجنة الأسماء بجانب الكيرن كيمت لبيسرائيل، وبدأت هذه اللجنة، وبمساعدة حكومة الانتداب البريطاني، تعمل بشكل منظم عام ١٩٢٥ لوضع أسماء للمستعمرات الصهيونية، وبعد إقامة دولة إسرائيل تم إقرارها عام ١٩٥٢ لتعمل بموجب قانون ملزم.

من الجدير ذكره أن نشوء الحركة الصهيونية ومنبتها كان في نهاية القرن التاسع عشر مرافقاً للحدث التي نشأت في أوروبا. وكانت هذه الحركة نتاجاً لعملية علمنة على المستويين الفكري والعلمي (الممارسة) لقطاعات واسعة من اليهود، فكان من هذه القطاعات المؤسسون والمنتسبون للحركة الصهيونية، والناشطون في صفوفها. وحيث أن هذه الحركة القومية انطلقت من انتماء فكريوتاريخي للدين

١٠ منصور جوني، شوارع حيفا العربية. جمعية التطوير الاجتماعي - حيفا، ١٩٩٩.





الصهيونية التاريخية. وإن طرح الأسماء والمسميات المنطلقة من اللغة العبرية وتسويقها من خلال وسائل الإعلام المتنوعة كانت مهمة خلق الخارطة الجديدة التي نعاني منها نحن العرب الفلسطينيون ونحاول مواجهتها.

هذه الخارطة يلحظها كل متجول في أحياء القدس بما في ذلك البلدة القديمة والأحياء العربية المحيطة بها. كما أنها طبقت في الخرائط والأطالس التي تصدر عن المؤسسات الرسمية والأهلية الإسرائيلية. وقد أصبحت هذه الخارطة مصدراً يرصد الواقع الحالي للقدس، وتعتمد مؤسسات غربية مختلفة، وحتى يستخدمه بشكل غير واع بعض العرب الفلسطينيين.

## خارطة عربية أو خارطة بالعربية

لقد تحول العرب الفلسطينيون في القدس من أغلبية إلى أقلية مغلوبة ومعها لغتها وقدرتها على صياغة وإنتاج الحيز من خلال المسميات الجغرافية. رغم اعتراف الدولة الجديدة وقبلها الانتداب بوضع اللغة العربية، إلا أن الوهن الذي عانى منه أبناؤها، شمل اللغة وقدرة أبنائها على حفظ وإنتاج مسميات كانت قد هودت وعبرنت، مع ذلك بقيت ذاكرتهم قائمة لأسماء هذه المواقع يرددونها، ويبقى حنينهم إلى استعادة المسميات العربية.

شهد المجتمع العربي الفلسطيني في البلاد منذ النكبة حتى الآن تحولات وتغييرات كثيرة أثرت على كينونته، وشهد سيرورات بداخله وصيرورات آل إليها. جزء من هذه التغييرات أحدثتها وصاغتها عوامل وقوى خارجية، وجزء آخر أحدثته قوى داخلية نشأت وتطورت داخل المجتمع. ولفهم هذه التحولات وأثرها في تطور وحضور اللغة والمشهد العام وإنتاج الحيز والحضور به لا بد من فهم علاقة التآزر والجدلية بين العوامل الخارجية والداخلية.

رغم سياسة الإقصاء والإحلال والاحتلال، إلا أن عملية التمدن التي يمر بها المجتمع العربي الفلسطيني في القدس والبحث عن الذات، ومواجهة سياسة العبرنة للحيز وتهويده أدت إلى مواجهة ومطالبة مستمرة للعرب بتعديل الخارطة العبرية وإبقاء الخارطة العربية. هناك نشاطات في هذا الشأن، مثل خريطة أحياء القدس والبلدة القديمة من إصدار لجنة معالم التراث المقدسي المنبثقة عن الهيئة الإسلامية العليا بالقدس<sup>١٢</sup>، ومثل إنتاج واستخدام خرائط تم إعدادها من قبل جمعية الدراسات العربية، أو من قبل منظمة التحرير الفلسطينية. هذه النشاطات هي محاولة لاستعادة الخارطة العربية والمسميات العربية التي تشملها. إن هذا الجهد ينجز رغم المعوقات لإنشاء خرائط أسماء ومسميات طرق ومواقع

١٢ بركات. بششير. ٢٠١١. مراجعة نقدية لثلاثة إصدارات حول بيت المقدس. **حوليات القدس**. العدد الثاني عشر. شتاء. صفحة: ٩٥-١٠٣.

داخل القدس العربية، فهذا الجهد ما زال متواضعا، ومركزا في الأحياء العربية مثل منطقة الشيخ جراح. بالموازاة مع ذلك فإن تعريف القدس حسب النظام الإسرائيلي كمدينة مختلطة، حيث يزيد بها عدد السكان العرب عن الحد الأدنى وهو ١٠٪ من العدد الإجمالي للسكان، يفرض وضع أسماء المواقع على الشاخصات في الطرق باللغة/الأحرف العربية. هذا القرار توافق مع جهد مؤسسة عدالة التي انتزعت قرار من محكمة العدل العليا الإسرائيلية بفرض تعريب أسماء الطرق. وبذلك أصبح حضور أكثر للغة العربية في المشهد العام. رغم هذا الجهد، إلا أن الخارطة الرسمية للأسماء والمسميات فرضت من قبل السلطات، وحولت خارطة المسميات إلى عبرية بديلاً عن الخارطة العربية. لقد فرضت الخارطة العبرية نتيجة للقوى غير المتوازنة. تلخص دراسة أمارة ومرعي (٢٠٠٨) واقع اللغة ودورها في الصراع، بما في ذلك تحريف، تزييف وتغيير أسماء المواقع الجغرافية ومسح المشهد العام، مما أدى إلى تأجيج الصراع على المكونات الرمزية والمعنوية والوظائفية بين العرب الفلسطينيين وبين دولة إسرائيل.

لا شك أن تحدياً كبيراً يواجهه المجتمع العربي الفلسطيني بشكل عام والمقدسي بشكل خاص، وهو هل يجب إنتاج خارطة أسماء ومسميات المواقع حسب الرواية العربية المستقاة من اللغة والثقافة العربية، أم يمكن قبولاً لنقحرة<sup>١٤</sup> (أي النقل الحرفي للأسماء والمسميات العبرية بالأحرف العربية) خارج سياق العربية لغة وثقافة، ورواية، وتاريخاً وخطاباً، واستمرار ذلك؟ هنا لا بد من عمل جهد جماعي لمواجهة عبرنة الخارطة والمسميات الموجودة بها، وعلى الأقل وضع مسميات مزدوجة\ثنائية للمواقع بما لا يُمحى أو يُلغى الاسم العربي.

## تفاوت في تغيير خارطة الأسماء في القدس

إن الفاحص لعملية تغيير أسماء المواقع في القدس يجد أنها متفاوتة بين المناطق، فمنهذه المناطق ما تم به إحلال كلي للأسماء، ومنها ما جرى فيها بعض التوافق على الأسماء، وأخرى ما زالت تغيب عنها عملية وضع أسماء رسمية من قبل لجنة المسميات البلدية. لقد شملت عملية الإحلال كل الأحياء العربية والقرى التي احتلت قبل عام ١٩٤٨، بما في ذلك حي المغاربة والميدان داخل البلدة القديمة حيث أقيم على أنقاضها الحي اليهودي. وشملت عملية الإحلال هذه محو معالم الأسماء العربية، رغم بقاء بعض المعالم المبنية مثل نواة قرية المألحة أو مباني عربية أقيمت في حي الطالبية.

١٤ جبران. سليمان. **على هامش التجديد والتقييد في اللغة العربية المعاصرة**. مجمع اللغة العربية- حيفا. ٢٠٠٩.

جرت داخل البلدة القديمة عملية تحويل الأسماء في الحي الإسلامي، وفي الحي المسيحي بما فيه الارمني، من الأسماء العربية إلى الأسماء العبرية، أو تمت ترجمة الاسم العربي إلى اسم عبري، مما خلق ازدواجيات وثنائيات مثل شارع الواد الذي سمي بشارع «جاي». وهذا التحويل شمل بوابات القدس القديمة، فتم تحويل باب الأسباط إلى اسم عبري هو شاعر هأريوت، وباب العمود تحول إلى اسم شاعر شخيم. تحويل الأسماء وعبرنتها من خلال ترجمتها شملت منطقة الشيخ جراح وكل المنطقة التي تقع حول طريق صلاح الدين شمال البلدة القديمة. شوارع هذه المنطقة سميت في الفترة الأردنية قبل احتلالها عام ١٩٦٧، جزء من هذه الأسماء ما زالت باقية، وأخرى تم عبرنتها.

إن القرى التي ضمت إلى القدس بعد قرار الضم الإسرائيلي مثل بيت حنينا، شعفاط، سلوان، بيت صفا، الطور، والعيسوية، ما زال معظمها يفتقر لأسماء الطرق، ويتم تحديد العناوين من خلال الوصف. كما أن تسوية الأرض في معظم هذه المناطق لم تنته بعد، وما زالت المواقع تحدد حسب الطريقة التقليدية. رغم أن إسرائيل وبلدية القدس الإسرائيلية تسعى إلى تهويد وعبرنة المواقع، إلا أنها ما زالت تعمل بشكل مزدوج في الأحياء العربية، حيث الأسماء المتعارف عليها ليست هي بالضرورة المسجلة بالبلدية، مما يخلق ازدواجيات وتناقضات بين السكان وبين السلطات الإسرائيلية. كذلك فإن رفض السكان المشاركة في لجان بلدية القدس المحتلة جعلهم غير مشاركين بشكل رسمي في وضع أسماء للمواقع التي يعيشون بها. لا شك أن هذا الواقع يخلق إشكاليات ومعوقات أمام تطور المقدسين.

إن الفاحص لعملية تغيير الأسماء التي قامت به الدولة العبرية وبلدية القدس الإسرائيلية من خلال سلطة الأسماء الحكومية ولجنة المسميات البلدية مستخدمة القانون والمؤسسات الرسمية؛ لجنة تسمية الأماكن؛ والأكاديمية للغة العبرية، دائرة المساحة، أقسام الجغرافيا، وكل جهة رسمية وغير رسمية لها علاقة في إنتاج الخرائط، يجد أن عملية عبرنة الأسماء انطلقت من عدة اعتبارات:

- (١) منح اسم عبري للموقع إذا توفر من الفترة التوراتية التاريخية لربط الحاضر بالماضي من أجل تطوير المستقبل وما يشمله من تامين أخلاقية للسيطرة على المكان وإقصاء الإنسان العربي الفلسطيني وتوفير الأمن الجماعي وتشكيل لغة خاصة ومشكلة للهوية الجماعية.
- (٢) ترجمة الاسم العربي السائد إلى اسم عبري أو تحريفه، خاصة وأن اللغة العبرية والعربية يوجد بينهما تقارب كلغات سامية تستخدم الحروف الأبجدية. وأن اللغة العبرية في مرحلة التطوير والتكوين والتوسع بينما العربية ذات تقليد طويل وسعة وليونة يمكن استئناف أو اشتقاق أسماء كثيرة منها. عملية ترجمة أو تحريف الاسم وتحويله إلى لكنة - لهجة عبرية تجده في كثير

من المواقع.

- (٣) منح أسماء جديدة لمواقع أنشئت على أسم قيادات سياسية عسكرية ثقافية، علمية يهودية: جزء منها قيادات تاريخية وأخرى نشأت مع نشوء الحركة الصهيونية أو تلك التي صاغت وشكلت دولة إسرائيل وبنيتها.
- (٤) منح اسم للموقع بالاعتماد على الصفات الجغرافية أو تلك التي تصفه بلسان حسن لأجل منحه قيمة جماعية.

من الجدير بالذكر، وكما أشرنا سابقا، فإن وسائل الإعلام المنشورة، كالخرائط، والدراسات، والصحف، والمسموعة، كالراديو والمحاضرات العامة، والمرثية، كالبرامج التلفزيونية، أفلام ومواقع انترنت، وكذلك مؤسسة الجيش بصفتها مؤسسة عسكرية، هي بؤر تعليمية وتثقيفية تشكل وتصنع الهوية الجماعية لليهود الإسرائيليين، وتساهم في تعريف البلاد وتاريخها للجنود. كما أن المؤسسات الحكومية والأهلية والأكاديمية والاقتصادية تعمل بشكل مجند وواعي من أجل فرض الخارطة العبرية وما تشمله من أسماء عبرية بدل الأسماء العربية.

كذلك فإن قرار محكمة العدل العليا إلزام كتابة الأسماء على الشواخص والإشارات في الحيز العام باللغة العربية (الأحرف العربية)، هو مركب ساهم في تزييف ومسخ الأسماء العربية، حيث أن الاسم العبري يكتب بأحرف عربية. هذه الكتابة والنقحرة غير المنظمة خلقت تشويه بالأسماء العربية في الحيز العام، والذي يتطلب جهدا لتغييره.

## نحو حضور عربي في وضع الأسماء واستعادة المسميات العربية

لا شك أن واقع ومواجهة آلة تغيير أسماء المواقع وفرض الخارطة العبرية على الحيز العام في البلاد، بما في ذلك على الفلسطينيين المقدسين، هي عملية معقدة ومركبة؛ لأن تغيير خارطة الأسماء هو جزء من إيديولوجية الحركة الصهيونية وإحياء مشروعها الذي تطبيقه مؤسسات الدولة العبرية وبلدية القدس الاسرائيلية الذي يشمل اللغة، التاريخ والدولة. مع ذلك فإنني أدعي أن لدينا مساحة من إمكانية التدخل وحفظ ما يمكن حفظه من أسماء ومسميات عربية لمواقع جغرافية. وأن حفظ الأسماء العربية هي مهمة واجب وطني أخلاقي علمي وتوثيقي، يؤكد أن القدس ومعها بلادنا، عانت من احتلال من دول وأقوام كثيرة، وخلقت طبقات متعددة من الموروث بما في ذلك موروث الأسماء؛ وأن مسؤوليتنا حفظ هذا الموروث والتعددية التي نشأت في بلدنا.

إن المحاولات التي أشرت إليها سابقا في سبيل مواجهة عبرنة الأسماء والمواقع الجغرافي، يجب أن تتطور وتنمو من

قبل المجتمع المحلي. كذلك يجب العمل لإعداد خرائط سياحية وتوثيقية من قبل مؤسسات فلسطينية تسعى إلى تحقيق أهداف مثل تأكيد هوية فلسطين العربية، وإعادتها إلى ذاكرة كل عربي وفلسطيني خاصة وكل إنسان، بمواقعها وجبالها وأوديتها وخربها وحصونها، وإعادتها إلى الحضور والذاكرة العربية والفلسطينية، وحفظ معالمها العربية على الأطلس والخرائط التي ستكون في متناول الجميع.

يجب السعي، كجزء من عملية استغلال المساحة الممكنة للعمل، إلى وضع خارطة مسميات عربية، وليس عبرية بالأحرف العربية، تشمل الأحياء العربية القائمة لكي تلبي احتياجات السكان، وهذا بالمشاركة الواعية للسكان لأجل حفظ الأسماء العربية داخل الخارطة التي تعد لهذه الأحياء العربية مثل صور باهر وبيت حنينا. بالموازاة يجب رسم خرائط عربية من قبل مؤسسات عاملة تشمل خرائط القدس تروي وتصيغ الخطاب العربي الفلسطيني. كما نؤكد على

وجوب إنتاج خرائط لتسمية الطرق والمواقع في الأحياء العربية الفلسطينية التي كبرت وتوسعت ومرت بمرحلة تمدن. هذه الأحياء التي تطورت من أنوية قري يجب أن تقوم بإعداد خرائط لأسماء الطرق والمواقع بها وهو أمر مرغوب ومبارك. نوصي بأن تقوم لجان محلية بوضع أسماء تربط بين تاريخ القرية\المدينة بالإضافة إلى الأسماء التاريخية، الدينية، الثقافية والوطنية. كما نرى أن هناك حاجة ماسة لتشجيع كتابة الدراسات والأبحاث التي تتناول اللغة والمسميات الجغرافية، والرواية العربية لتاريخ البلاد. كما نوصي بعدم نسخ خرائط من مصادر دون التحقق ودراسة مصادر الأسماء، لأجل أن تكون الخارطة دقيقة ممثلة للثقافة العربية. وأخيراً، نحن نقف أمام تحدي يجب علينا أن نواجه سياسة العبرنة ليس لفظياً بل من خلال الحضور وخلق أسماء مواقع ومسميات جغرافية تحول دون خلق غربة بين الإنسان وحيزه الذي يعيش به لأجل تمكين الانتماء له، ومع ذلك زيادة وتطوير حضور اللغة العربية في واقعنا المعقد.

## المصادر

- أمانة محمد ومرعي عبد الرحمن. **اللغة في الصراع**. دار الهدى. كفرقرع ودار الفكر. عمان. الأردن. ٢٠٠٨.
- القطب اسحق يعقوب. التركيب الاجتماعي للشعب الفلسطيني. الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني. الدراسات الخاصة. ١٩٩٠. صفحة: ٤٠٩-٥٤٥.
- العارف. عارف. **المفصل في تاريخ القدس**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. الطبعة الرابعة. ٢٠٠٧.
- بركات. بشير. مراجعة نقدية لثلاثة إصدارات حول بيت المقدس. **حوليات القدس**. العدد الثاني عشر. شتاء. ٢٠١١. صفحة: ٩٥-١٠٣.
- بن-إسرائيل. ٢٠٠٩. **التهוות המקומהבדוו; הבנייתמרחבונפקרבנוודים-רועיםמתיירים- המקרהשלדוויאורזורחה- יתיר**. עבודתדוקטוראטאובירסיבתבגוריון. בארשבע.
- בנבנשתימירן. 1997. **המפההעברית, תיאוריהוביקורת** 11 (תשנ"ח). עמ' 30-7.
- גולןאנרוןעוזעזריהו. 2005. **לעברתארץ: יצירתהמפההעבריתשלמדינתإسرائيل (1949-1960)**. י' בר-גל, נ' קליאטוא' פלד (עורכים). מחקרסבארץישראל: ספראביאלרון. חיפהתשס"ד. עמ' 260-268.
- דאמשעהמר. 2009. **שםלמקום- שמותיישוביהעربייםבגלילושמותהעצמיםמןהטבעבספותהעממית**. חיבורלשםקבלתתוארדוקטורשלחאוניברסיטההערביתבירושלים.
- جبران. سليمان. **على هامش التجديد والتقييد في اللغة العربية المعاصرة**. مجمع اللغة العربية- حيفا. ٢٠٠٩.
- عبد الفتاح. كمال. **السمات العربية للمواقع الفلسطينية المهودة**. كتاب المؤتمر الدولي الثالث لبلاد الشام "فلسطين" جغرافية فلسطين وحضارتها. المجلد الثاني. الجامعة الأردنية. عمان وجامعة اليرموك. إربد. ١٩٨٢. ص: ٣٧٧-٣٩٢.
- عواودة. عامر. ٢٠٠٨. **كفر كنا تاريخ وتراث**. دار الحكمة. كفر كنا.
- عراف. شكري. **المواقع الجغرافية في فلسطين الأسماء العربية والتسميات العبرية**. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. ٢٠٠٤.
- منصور. جوني. **شوارع حيفا العربية**. جمعية التطوير الاجتماعي - حيفا. حيفا. ١٩٩٩.
- <http://www.islamnoon.com/Nathrat/asmaa.htm>
- منظمة المؤتمر الإسلامي. لجنة القدس. وثيقة القدس. 2001.
- عزريهومعوز. 2012. **על-שם- היסטוריהופוליטיקהשלשמותמרחבובתבואהישראל**. כרמל, ירושלים

Kliot N. and S. Cohen, "Place-Names in Israel's Ideological Struggle over the Administered Territories", *Annals of the Association of American Geographers* 824, (1992), pp. 653-680.